

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة المسلم ١- إذاعة حياة إف إم- الحلقة : ١٥٦ - الشبهات ٦ - حقيقة وجود الإله.

٢٤-٠٧-٢٠١٨

مقدمة :

المذيع:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، يا ربنا صلّ وسلم، أنعم وأكرم على نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً ومرحباً بكم مستمعينا الأكارم. باسمكم مستمعينا الكرام نرحب بفضيلة العلامة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، أهلاً ومرحباً بكم شيخنا وأستاذنا .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم، وأعلى قدركم .

المذيع:

اللهم آمين، حياكم الله دكتور محمد، وأهلاً وسهلاً بفضيلتكم، نواصل معكم دكتور محمد ومستمعينا الكرام حديثنا عن الرد عن الشبهات التي يحاول البعض أن يحوم حولها وأن يثيرها لصد كثير من الناس عن دين الله سبحانه وتعالى، حلقتنا لهذا اليوم هي تحت عنوان: "حقيقة وجود الإله"، نتحدث عن وجود الخالق بين الفطرة وبين العقل.

دكتورنا الكريم أهلاً وسهلاً بكم معنا، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾

[سورة الزخرف: ٩]

أهلاً وسهلاً بكم دكتور، بداية نقاشنا وحديثنا معكم دكتورنا الكريم قبل أن نتعرف على حقيقة وجود الإله بالنسبة للبعض في قضية الفطرة والعقل، نبدأ دكتور من هو الله؟

١ - مبدأ السببية :

الدكتور راتب :

قبل كل شيء الله عز وجل خلق الإنسان في أحسن تقويم، أعطاه العقل، والعقل جهاز، أعقد جهاز في الكون، بالغ التعقيد، تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، هذا العقل من مبادئه أنه لا يفهم شيئاً من دون سبب، لا يمكن، العقل البشري لا يفهم شيئاً مما حوله بلا سبب.

إنسان سافر وأغلق الكهرباء في بيته، وأرتج الباب، عاد من السفر الإضاءة متألفة، لا يصدق أنها تألفت لوحدها، لا بد من إنسان دخل البيت وأشعل هذه المصابيح، هذا المبدأ السببي، الإنسان لا يفهم شيئاً بلا سبب، يسمونها مبادئ العقل، و هي ثلاثة مبادئ؛ مبدأ السببية لا يمكن أن يصدق إنسان عاقل في الأرض في الخمس قارات، من آدم ليوم القيامة شيئاً ظهر أو سمع أو حدث بلا سبب، هذا المبدأ مبدأ السببية يقودنا بلطف ونعومة إلى الله، البيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، مهما سرت في هذه السلسلة لا بد من أن تصل إلى مكان من خلق الدجاجة؟ هو الله، مسبب الأسباب، فعقلنا البشري لا يمكن أن يصدق حدثاً في الأرض في الخمس قارات من آدم إلى يوم القيامة إلا وله سبب، ومسبب الأسباب، هذا العقل مبدؤه الأول السببية، هذه نقطة مهمة جداً، إنسان أغلق الدار، أطفأ الإنارة، وسافر، عندما رأى الإنارة متألفة لا يصدق إلا أن يكون لص قد دخل إلى البيت، هذا العقل مبدؤه السببية.

٢ - مبدأ الغائية :

شيء آخر، مبدأ آخر لا يقل أهمية عن هذا المبدأ، مبدأ الغائية، ما معنى الغائية؟ بقرة تعطيك سبعة و ستين كيلو حليب في اليوم، حاجة وليدها اثنان كيلو فقط، معنى هذا أن الكمية الكبيرة جداً صممت وصنعت للإنسان، الدليل:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾

[سورة النحل: ٥]

لكم أي خصيصاً لكم، لذلك الحليب المادة الأساسية التي إذا اعتمد الإنسان عليها وحدها يبقى حياً. والنبى الكريم من أدبه الجم كان إذا أكل كل شيء حمد الله عليه، إلا إذا شرب الحليب قال: " اللهم زدنا منه "،

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾

أنا أتمنى على الأخوة المستمعين أن يبحثوا عن كلمة لكم، خلقها لكم في القرآن، نجد أن هذه الأشياء خلقت خصيصاً لنا، لا يوجد نظريات إحادية أنا وجدنا هذه الأشياء صدفة، خلقت لنا خصيصاً، أي البقرة مذلة، ممكن أن يحلبها طفل صغير، والجمل يقوده طفل صغير أحياناً، من ذلها لنا؟ لذلك في بريطانيا مرض أصاب البقر اسمه جنون البقر، ثلاثون ألف بقرة أحرقوها، البقر أحياناً يصاب بمرض الجنون، يقتل مئات الآلاف، فلذلك من ذلها؟ من جعلها مذلة؟ من جعل هذا الحليب غذاء كاملاً لنا؟ هذا العقل البشري، مبدأ السببية والغائية.

الطفل الصغير الآن ولد، من علمه منعكس المص؟ المنعكس عملية معقدة جداً، يضع هذا الذي ولد لتوهِ شفثيه على حلمة ثدي أمه يحكم الإغلاق، يسحب الهواء يأتيه الحليب، لولا منعكس المص لما كان هناك حياة بالأرض كلها، هذا يسمونه منعكس المص، منعكس أي آلية معقدة جداً ولدت مع الإنسان من دون تعليم، هذه منعكسات بلا تعليم، لو شخص يمشي بالطريق، وشخص معه دخينة مست يده يسحب يده، هذا اسمه منعكس شرطي، فمن جعل بهذا الطفل آلية المص؟ هذه الآلية لولاها لما وجدت حياة أساساً. أدق من ذلك الطفل الوليد لا يوجد ببطن أمه هواء، إذاً الهواء معطل، والرتنان معطلتان، الآن ولد حينما كانتا معطلتين كيف تتم الآلية؟ الرتنان معطلتان لا يوجد هواء، الله فتح ثقباً بين الأذنين، كشفه عالم فرنسي اسمه بوتال، هذا الثقب بالأذنين يمر الدم من أذنين إلى أذنين إلى أن يذهب إلى الرتنتين، ما دامت الرتنان معطلتين في بطن الأم فلا يوجد هواء، حينما يولد المولود بثانية واحدة تأتي جلطة تغلق هذا الثقب، يد من؟ علم من؟ رحمة من؟ أحياناً الله يترك بكل خمسمئة ولادة طفلاً لا يغلق الثقب عنده، يسمونه: داء الزرق، يموت، داء الزرق أي الدم لا يجدد عن طريق الرتنتين، لذلك الثقب الصغير ثقب بوتال كشفه عالم فرنسي، يد من؟ رحمة من؟ حكمة من؟ جعلت هذا الثقب يُسد آلياً عند الولادة.

يا أخي الكريم بارك الله بكم على هذا السؤال، والله يوجد آلاف القضايا لا تستطيع إلا أن تخر الله ساجداً.
المدبوع:

إذاً دكتورنا الكريم تحدثم عن مبدئين مبدأ السببية، ألا وأن هنالك سبباً لوجود الأشياء، ومبدأ الغائية أن هنالك غاية من خلقها.

والمبدأ الثالث دكتور؟

٣ - مبدأ عدم التناقض :

الدكتور راتب :

عدم التناقض، إذا شخص متهم بجريمة قتل فرضاً بمعان، وثبت أنه كان عند وزير الصحة بالمستشفى بعمان، يُحكم بالبراءة، أن يكون الإنسان في مكانين هذا اسمه تناقض، غير مقبول، مادام متهماً بمدينة بقتل إنسان الساعة الثانية عشرة ظهراً، وكان في الساعة الثانية عشرة ظهراً عند الوزير بمدينة ثانية، مادام هناك تناقض ألغي القرار.

المذبح:

هذه المبادئ الثلاثة ماذا تسمى دكتور؟

الدكتور راتب :

يجب أن نفهم الأشياء بثلاثة مبادئ، مبدأ السببية، والغائية، وعدم التناقض.

المذبح:

ماذا نسمي هذه المبادئ دكتور؟

الدكتور راتب :

مبادئ العقل، هذا اسمها بالضبط، مبدأ السببية أي الإنسان لا يمكن أن يفهم شيئاً بلا سبب، ولا يفهم شيئاً بلا غاية، يوجد غاية كبيرة جداً.

عفواً، هذا البطيخ الثمرة الأساسية ينضج في الصيف خلال تسعين يوماً، أما المحاصيل فتنتضج بيوم واحد، تنتضج وتحصد، أما معقول البطيخ ينضج بيوم واحد؟ هذا مصمم فاكهة للصيف بأكملها، في أعلى البطيخة حلزون صغير يأتي الفلاح ويضغطه، فإذا كُسر البطيخة نضجت، إن لم يكُسر البطيخة لم تنتضج بعد، هو قال:

﴿ وَعَلَامَاتٍ ﴾

[سورة النجم: ١٦]

ما هذه الآية الدقيقة؟ العنب امسكه واسحبه نحو الأسفل يعصر بيدك ولا يقطع، أما بحركة معاكسة فيقطع، تصميم من؟ والله الفاكهة فاكهة، مخلوق مخلوق، كائن كائن، يوجد أشياء مذهلة، الشعر بالإنسان بكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، لكن لا يوجد عصب حسي، لو كان هناك عصب حسي يجب أن نمر كل أسبوع على المستشفى حتى نخلق فقط، كي نتخدر تخديراً كاملاً، من ألغى العصب الحسي بالشعر؟ من ألغى العصب الحسي بالأظافر؟ أقسم لك بالله بالجسم البشري لو أمضينا حياتنا كلها بدراسة التفاصيل لنا لا ننتهي.

أنت تمشي بالطريق سمعت بوق سيارة وراءك، طبعاً الصوت دخل إلى الأذن اليمنى قبل اليسرى، بفواصل زمني مقداره واحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، تكتشف أن المركبة كانت من اليمين، تأتي على اليسار، ما هذه الدقة البالغة؟ الإنسان بعينه أعلى آلة تصوير، قطعاً سوني احترافية، ثمنها بالملايين، هذه فيها بمستقبل الصور عشرة آلاف مستقبل ضوئي بالملي متر، بالعين البشرية يوجد مليون وثلاثمئة ألف مستقبل بالملي والثالث، إذا كان اللون الأخضر الوحيد درجته ثمانون درجة تفرق بين درجتين.

إذا الإنسان دقق بخلقه فقط يجب أن يخبر الله ساجداً، شيء لا يصدق، مليون مليون قضية في الجسم. المذبح:

هذه المبادئ العقلية الثلاثة دكتور، مبدأ السببية، والغائية، وعدم التناقض، كيف يمكن أن تقودنا إلى إثبات وجود إله لهذا الكون؟

طرق عقلانية في التفكير :

الدكتور راتب :

كل شيء الله خلقه جعل له سبباً قريباً، من هو المسبب الأول؟ إنه الله، البيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، وبالنهاية هذا دور فلسفي، يجب أن ينتهي إلى سؤال من خلق الدجاجة؟ إنه الله، مسبب الأسباب.

المذبح:

البعض يقول لك: الطبيعة وجدت نفسها بنفسها.

الدكتور راتب :

هذا كلام فارغ، أنت سمّتها طبيعة، أنا أسميها الله، صارت خلاف التسمية، لكن هناك آلية معقدة جداً. عفواً، ضع بكيس عشر قطع من الورق، مرتبة من الواحد للعشرة، من أجل أن تأتي الأوراق العشرة متسلسلة حسب الأرقام احتمالها واحد أمامها عشرة أصفار، أي عشرة آلاف مليون حالة ممكن أن تأتي حالة منهم وراء بعضهم.

الإنسان بدماعه يوجد مئة وأربعون مليار خلية سمراء استنادية لم تعرف وظيفتها بعد، في رأسه ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة، وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، بشبكية العين، بالأنف، بالحركة، بالتوازن، بالعضلات، بجهاز الهضم، شيء لا يصدق، أقسم لك بالله لو اكتفى الإنسان بجسمه فقط خلال أشهر يخبر الله ساجداً:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

[سورة عبس: ٢٤]

انظر إلى الطعام، إلى المحاصيل، إلى الفواكه، إلى الثمار، إلى الحيوانات الأليفة، الله قال:

﴿ وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾

[سورة يس: ٧٢]

البقرة مذلة، الجمل مذلل، الطفل يقود الجمل، لو كان متوحشاً الإنسان ينتفض من عقرب صغير، ويقود جملاً كبيراً، من صمم هذا الجمل على أنه مذلل؟

المذبح:

دكتورنا الكريم عندما نتحدث عن مبدأ السببية، نحن الآن نتحدث عن طريقة عقلانية في التفكير، هل الوصول إلى حقيقة وجود إله في الكون هو تفكير بالفطرة أم تفكير بالعقل؟

الإيمان بالله أصل هذا الدين :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن الإنسان له عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، فالذي يغذي عقله بالعلم، وقلبه بالحب الذي يسمو به، وجسمه بالطعام والشراب يتفوق، أما الذي يكتفي بواحدة فيتطرف، والفرق كبير جداً بين التفوق والتطرف، موضوع الإيمان بالله أصل، الله عز وجل جعل الإيمان به أصل هذا الدين.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة البقرة: ٨٢]

كلمة آمنوا موجودة في القرآن حوالي مئتين او ثلاثمئة مرة، فالإيمان أن ترى أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، هذا الإله العظيم هو الخالق، هو المربي، هو المسير، خالق خلق كل شيء من لا شيء، المربي يمد الإنسان، يمد الطفل أحياناً بحليب أمه، هذا الحليب الغذاء الأول الذي يغطي كل حاجات الطفل، وكيف علمه المص، منعكس المص، منعكسات كثيرة جداً تولد مع الإنسان، المنعكسات هذه لولاها لما كان هناك حياة أساساً.

المذبح:

دكتور، غير مبدأ السببية، وهو المبدأ العقلي كما تفضلت أنه لا بد أن يكون هناك سبب، ومسبب لهذه الجماليات الموجودة في الكون، وهذا الخلق العظيم نريد أن نتحدث دكتور في أدلة عملية قطعية على وجود الله سبحانه وتعالى من ناحية عقلية لمن لا يؤمن إلا بالخطاب العقلاني.

آيات الله فتوات سالكة لمعرفته :

الدكتور راتب :

أمر إلهي بالاستقامة، جاء مؤمن خضع لهذا الأمر واستقام، يرى حياة طيبة، بالقرآن يوجد:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل: ٩٧]

هذه آية قرآنية، بالمناسبة مادمت ذكرت هذا الكلام بارك الله بك، الله قال:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٦]

معنى ذلك أن الآيات جعلها الله قنوات سالكة لمعرفة، ما هي الآيات؟ آيات كونية، آيات تكوينية، آيات قرآنية.

الكونية، أخي الكريم بارك الله بك، الأرض تدور حول الشمس دورة كل سنة بمسار إهليلجي، معنى إهليلجي أي بيضوي، لها قطران، قطر أطول، وقطر أصغر، الآن هي بالقطر الأطول، تتجه نحو القطر الأصغر، بحسب الجاذبية القانون الأساسي أن الجاذبية تتناسب مع المسافة، ومع الكتلة، فالكتلة ثابتة، المسافة قربت من الشمس، لا بد من أن تنجذب الأرض إلى الشمس، وإذا انجذبت تبخرت في ثانية واحدة، ما الذي يحصل؟ ترفع الأرض سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، تبقى على مسارها.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: ٤١]

أن تنحرف، الآن الأرض بالقطر الأصغر رفعت سرعتها تلافت الانجذاب، الآن تتجه نحو القطر الأطول الجاذبية ضعفت، احتمال التقلت مئة بالمئة، ما الذي يحصل؟ تضعف سرعتها، لينشأ من انخفاض السرعة قوة جاذبة أقل تكافئ القوة النابذة الأقل، تبقى على مسارها، عندما يقول الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: ٤١]

أخي الكريم، بارك الله بك، الله قال:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج: ١]

في السماء أبراج بالمليارات، أحد هذه الأبراج برج العقرب، أنا كنت في قطر ودخلت إلى مرصد فلكي، رأيت بعيني برج العقرب، هذا برج العقرب فيه نجم صغير أحمر متألق اسمه قلب العقرب. قبل، الشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض، وبين الشمس والأرض مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر. برج العقرب فيه نجم صغير أحمر اللون متألق، اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟ لذلك أخي الكريم، التفكير هو أقصر طريق إلى الله، وأوسع باب أدخل منه على الله.

المنذع:

بعيداً عن فكرة التفكير دكتور، هل من دليل مادي لوجود الإله؟ البعض يطرح هذا السؤال وأتمنى أن أستمع إجابة من فضيلتكم بعد فاصل قصير نتوقف بعد إذن حضرتكم شيخ محمد، ومعكم مستمعينا الكرام في حلقتنا لهذا اليوم عن حقيقة وجود الله، هذه الحقيقة التي يؤمن بها من يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى رباً، ومسيراً، وخالقاً، وواحداً لهذا الكون، لكن يبدو أن البعض في موجة الإلحاد التي تسير في بعض الأماكن لا يؤمن بوجود الإله، هل هنالك حقيقة؟ هل هنالك أدلة تطرح؟ هذا هو نقاشنا مع فضيلة العلامة الدكتور محمد راتب النابلسي نواصله بعد فاصل قصير بإذن الله.

مرحباً بكم شيخنا الكريم من جديد، أهلاً وسهلاً.

الدكتور راتب :

ونفع بكم، وأعلى قدركم إن شاء الله.

المنذع:

اللهم آمين جميعاً شيخنا الحبيب، اليوم حديثنا عن حقيقة وجود الإله لمن لا يؤمنون والعياذ بالله بوجود خالق لهذا الكون، قبل الفاصل دكتور تحدثت عن مبادئ العقل الثلاثة: السببية، والغائية، وعدم التناقض، وأن لكل شيء في هذا الكون سبباً في وجوده، ولا بد في النهاية أن يكون هناك مسبب أول لوجود الإنسان الأول، لوجود الفاكهة الأولى، لوجود الحيوان الأول. دكتور، حينما يطرح عليكم أحد الناس ويقول: هل من دليل مادي على وجود الإله؟ هل أستطيع أن أرى الله؟ هل هناك دليل مادي أمسكه بيدي لأثبت من وجود إله للكون؟

الله عز وجل خالق كل شيء و لا يمكن أن نحيط به بعقلنا المحدود :

الدكتور راتب :

الله عز وجل خالق كل شيء، لا يمكن لإنسان محدود في كل إمكاناته، من حواسه؛ نظره، سمعه، بصره أن يحيط باللامحدود، الله لا نهائي، أما أنا فأرى آثاره، العقل ما ميزته؟ الشيء إذا ظهرت عينه وآثاره، أداة اليقين به الحواس الخمس واستطالاتها، الميكروسكوب استطالة، والتليسكوب استطالة، أي أنا أرى أمامي صخرة، أرى جبلاً، أرى حصاناً، شيء ظهرت عينه وآثاره، الحصان موجود أمامي، وأنا عندي حواس خمس أدركه، أما إذا الشيء غابت عينه، بقيت آثاره، أداة اليقين به العقل، الدليل: أنا حينما أرى دخاناً وراء الجدار أقول: لا دخان بلا نار، أو من بالنار مع أنني لا أرى النار، رأيت أثر النار، غابت عين النار بقيت آثارها وهي الدخان.

فالشيء إذا ظهرت عينه وآثاره أداة اليقين به الحواس الخمس، سمع، بصر، حس، إلخ... واستطالاتها: كالميكروسكوب والتليسكوب، أما إذا غابت عينه وبقيت آثاره فأداة اليقين به العقل، العقل يستنبط من الأثر

على المؤثر، من المسبب على السبب، من الظاهر على الباطن، فإذا غابت عينه وبقيت آثاره أداة اليقين به العقل، أما الجن مثلاً، الملائكة غابت عنا عين الملائكة، وآثار الملائكة، فأداة اليقين به الخبر الصادق.

دخلت إلى بيت، إنسان محترم جداً، عنده مكتبة مغلقة، ليس لها بلور، سألته: ماذا يوجد في هذه المكتبة؟ يقول لك: دفاتر قديمة، فقط، فأنا عندي اليقين الحسي، أدواته الحواس الخمس واستطالاتها، وعندي اليقين العقلي، الحسي إذا ظهرت عين الشيء وآثاره، أما إذا غابت عينه وبقيت آثاره فأداة اليقين به العقل، أنا أعرف المسبب من السبب، وهكذا، فإذا غابت عينه وآثاره معاً صار هناك خبر صادق، الله عز وجل أخبرنا أن هناك جنة، ونار، وملائكة، وجن، لكن الخبر قيمته من المخبر، فإذا كان المخبر هو الله، لذلك الله قال:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾

[سورة الفيل: ١]

ألم تر؟ لم ير أحد ذلك، لكنه قال: ينبغي أن تتلقى إخبار الله لك وكأنك تراه.
المنبع:

شيخنا الكريم، لماذا لا يستطيع الإنسان أن يرى الله، وأن يكون هنالك دليل مادي حسي كما تفضلت لوجود الإله في هذا الكون؟ البعض يمكن أن يطرح مثل هذا السؤال.

الله عز وجل ذات مطلقة لا يمكن لمخلوق أن يراه :

الدكتور راتب :

يا سيدي، الشمس، الحرارة فيها مئات ملايين الدرجات، والإنسان يشبه ورقة سيجارة، إذا وضعنا هذه الورقة في وجه الشمس، ماذا يحصل لها؟ تتبخر بثنائية واحدة، الله ذات مطلقة، لا يمكن لمخلوق أن يرى الخالق.

﴿ رَبِّ أَرْنِي أُنظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾

[سورة الأعراف: ١٤٣]

إذا شخص عرف الله لا يسأل هذا السؤال إطلاقاً، الذات الكاملة.

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾

لكن نحن عندنا آثار، الأثر يدل على المؤثر، السبب على المسبب، الظاهرة على موجبها.

أمثلة عن مئات الملحدین الذين نطقوا بالإيمان على فراش الموت :

الدكتور راتب :

لحظة، فولتير فيلسوف فرنسي، ملحد، مات عام ١٧٧٧، قال موجهاً كلامه للطبيب المعالج فوشين: لقد أهملني الرب والناس، فسأعطيك نصف ما عندي إذا أبقيتني حياً لستة أشهر، أنا ميت وسأذهب إلى الجحيم، هذا فولتير، الآن الممرضة المسؤولة عنه تقول: لو أعطيت كل أموال أوروبا لا أريد أن أرى شخصاً ملحداً عانى مثله وكان يصيح طوال الليل طلباً للمغفرة.

هوبز، مؤرخ اسكتلندي وملحد، مات عام ١٧٧٦، قال عنه من رآه في موته كان يصيح: النيران تحرقني بلهيبها، وكان يائساً وقائلاً لدرجة تثير الشفقة.

نابليون بونابرت، الإمبراطور الفرنسي، الذي قتل الملايين لإشباع جنون العظمة وأراد أن يحكم العالم قال: هأنذا أموت قبل وقتي، وأعود إلى باطن الأرض، وأنا الإمبراطور الأعظم، شتان ما بين الهاوية التي أقع فيها وبين جنة الخلد.

أخي الكريم، عشرات بل مئات الملحدین نطقوا بالإيمان على فراش الموت، أن تؤمن في الوقت المناسب، لا بعد فوات الأوان، الله قال:

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٨]

والحقيقة فرعون أكفر كفار الأرض، الذي قال:

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات: ٢٤]

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

[سورة القصص: ٣٨]

حينما أدركه الغرق، قال:

﴿ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾

[سورة يونس: ٩]

لذلك الإيمان بعد فوات الأوان لا قيمة له، تماماً طالب دخل امتحاناً، و هو لم يقرأ إطلاقاً، قدم الأوراق بيضاء فنال الصفر، رجع للبيت قرأ البحث، قال: أعطوني ورقة أكتب لكم الجواب، انتهى، هذا بعد فوات الأوان، يوم:

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾

المذبح:

سيغموند فرويد عالم النفس الشهير يقول: أي شخص يؤمن بوجود إله خالق هو شخص واهم يتمسك بهذه المعتقدات نتيجة عامل تحقيق الأماني، الذي ينتج عنه ما اعتبره فرويد موقفاً غير مبرر، بمعنى أن الإنسان إن أحب أن يكون له إله فهو يذهب لتحقيق أماني وهمية افتراضية، ما ردّ فضيلتكم؟

الملحد لا يتهم بإيمانه يتهم بعقله :

الدكتور راتب :

أنشتاين أكبر علماء الفيزياء الذي اكتشف السرعة الزائدة في الكون، كل إنسان يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، عليمه هي أعلم ما تكون، رحيمه هي أرحم ما تكون، إنسان حي لكنه ميت.
أنا أقول كلمة: الملحد لا يتهم بإيمانه يتهم بعقله بالضبط.

المذبح:

لكن هو أحياناً دكتور عندما يرى الظلم في الأرض ويعرف أننا نقول إن الله عادل حينما لا يرى وجوداً حقياً.

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء و في الآخرة توزيع جزاء :

الدكتور راتب :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

عفواً، دخلت بموضوع دقيق جداً، بارك الله بك، إن لم تضم إلى إيمانك بالدينا إيمانك بالآخرة هناك مليون سؤال يقفز أمامك، لا بد من أن تضم الآخرة إلى الدنيا، وعندئذ تسوى الحسابات، الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، فكل إنسان مبتلى بما أوتي، مبتلى بما زوي عنه، الدعاء النبوي:

((اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، وَمَا رَزَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ))

[الترمذي عن الله بن يزيد الخطمي الأنصاري رضي الله عنه]

نحن في دار ابتلاء لا دار استواء، وكل إنسان مبتلى بما أعطي، الغني مبتلى بالمال، والفقير يبتلى بالفقر، والقوي بالقوة، والضعيف بالضعف، والصحيح بالصحة، والمريض بالمرض.

﴿ إِنَّ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنين: ٣٠]

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

[سورة الملك: ٢]

فالعبارة لا أن ننجو من الابتلاء بل أن ننجح في الابتلاء.

المذيع:

جميل، الله يفتح عليكم يا دكتور.

شيخنا الكريم، إذا كان العلم يقود بالنهاية إلى وصول الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، وكانت الطبيعة، ومبدأ السببية، يوصلان الإنسان إلى الله تبارك وتعالى، لماذا يلحد الناس وجزء من الملحدون هم كبار العلماء؟

بطولة الإنسان أن ينسب النعمة إلى المنعم :

الدكتور راتب :

مصلحة، يسمونه الآن بالمصطلح الجديد معه أجندة، يحقق هدفاً لطرف آخر، الحقيقة الملحدون الحقيقيون عند الموت آمنوا.

المذيع:

لكن دكتور جزء من الملحدون هم من كبار علماء الفيزياء، والعلماء في الذرة والطبيعة، أشخاص عقلهم ينظم الكثير؟

الدكتور راتب :

لكن ما آمن بالخالق، والبطولة أن تنسب النعمة إلى المنعم، فقط عند النعمة أو عند الخلق.

المذيع:

ولم يستمر بعد ذلك، أي هو وصل إلى العلم لكن يقوده علمه الغزير الذي وصل إليه إلى مصمم هذا العلم، هل هو نوع من أنواع الغرور دكتور الذي يمكن أن يصيب العالم؟

الدكتور راتب :

أو يوجد مصلحة، أو بتعبير معاصر معه أجندة، معه مهمة يجب أن تؤدي.

المدبغ:

دكتور، هل الإعجاز العلمى فى هذا الكون يمكن أن يكون أكبر مدخل إلى إثبات وجود الله سبحانه وتعالى؟

الإعجاز العلمى أكبر مدخل لإثبات وجود الله تعالى :

الدكتور راتب :

أقوى علم الآن يقوى الإيمان، عندما بعثوا مركبة فضائية للقمر، صاح رائد الفضاء: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، لأنهم تجاوزوا طبقة الهواء، فلما تجاوز رواد الفضاء طبقة الهواء ألغى انتشار الضوء، فلما ألغى انتشار الضوء صار الظلام دامساً، لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، تفتح القرآن الذى أنزل قبل ألف و أربعمئة عام، يقول:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر: ١٤-١٥]

أخي الكريم، يوجد ألف و ثلاثمئة آية بالقرآن تتحدث عن الكون والإنسان، الآيات وحدها إذا درسناها أكبر دليل على عظمة الله عز وجل، هذا منهج بين أيدينا، عندنا ألف و ثلاثمئة آية تكوينية بخلق الأكوان والإنسان، لو وقفنا عندها الله وكيلك منهج كاف لا يحتاج المؤمن بالله فوق هذه الآيات.

المدبغ:

اللهم أمين، نختم حلقتنا بالدعاء دكتورنا الكريم.

الدعاء :

الدكتور راتب :

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمنا مكر، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك، أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضى عنا، اجعل هذا البلد الأردن آمناً نقيماً تقياً، وسائر بلاد المسلمين، واحفظ المسلمين فى كل مكان، واحقن دماءهم فى الشام، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى، وعلى آله وصحبه وسلم.

المذيع:

الحمد لله رب العالمين، بارك الله بكم فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي على هذه الكلمات الطيبة، حلقتنا كانت بعنوان: " حقيقة وجود الإله"، مبدأ السببية، أن لكل شيء في هذا الكون سبباً لوجوده، وأن الإنسان لا بد له من أب ومن جد، ولا بد من إنسان أول، ولا بد من مسبب أي خالق لهذا الإنسان الأول، ولا بد للإنسان أن يرى ويتفكر ويتدبر ما حوله من جمال هذا الكون، فيدله عقله على وجود الله سبحانه وتعالى مسيراً لهذا الكون، وتدله فطرته على الخطيئة حينما يخطئ الإنسان. سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.